٤- **التشبيه المؤَكَّد المُجْمَل**: ويُسمَّى أيضاً (البليغ) أو (الموجز)؛ لأنه أوجزُ أو أقصرُ صورِ التشبيهِ الأربعة (باعتبار حذف الأداة ووجه الشبه)، وتسميته بـ(المُؤَكَّد المُجْمَل) أدقُّ وأوضحُ من تسميته (بليغاً)؛ لأننا لا نستطيع أن نَعُدَّ كلَّ تشبيهٍ فيه أداةٌ ووجهُ شبهٍ أو أحدهما أقلّ بلاغةً من التشبيه الذي حُذِفَتْ منه الأداة ووجه الشبه، أقصد نوع التشبيه الذي سموه (بليغاً)؛ لأنّ هذا الاعتبار اعتباطيٌّ يُخْرِجُ كثيراً من الكلام الجيد، بل يتعدّى الكلام الجيد إلى القرآن الكريم فيَجْتَثّ منه آياتٍ كثيرةً جاءت مُعَبِّرَةً عن معانيها أحسن تعبير وأدقه وأجمله وأجزله، لكنّ الذي يُستفادُ من هذا التقسيم الرباعي (أعني تقسيم التشبيه باعتبار وجود الأداة أو حذفها، وباعتبار وجود وجه الشبه أو حذفه) أنّه بيانٌ لأنواع التشبيه بهذا الاعتبار، ولا بُدَّ من تسميةِ كل نوع من هذه الأنواع باسمٍ مُعَيَّنٍ، ولمّا كان النوعُ الأخيرُ أخصرَها وأوجزَها، وكون البلاغة العربية هي الإيجاز، سمّوا النوع الأخير بليغاً، لكنّ هذه التسمية فيها لَبْسٌ يُوحي بأبلغية التشبيه (المحذوف الأداة ووجه الشبه) وأفضليته على التشبيه الذي تُذكر فيه (الأداة ووجه الشبه)، والحقيقة أنَّ مقامات الكلام تختلف بحسب الحاجة إلى نوع التعبير، فإن اقتضى المقام الإيجاز، فإنّ المبدع يستعمل أسلوب التشبيه (**المؤَكَّد المُجْمَل**)، وإن اقتضى المقام التفصيل والإيضاح والبيان استعمل المبدع أسلوب التشبيه (**المُفَصَّل المُرْسَل**)، وعلى كل حالٍ فالتشبيهُ (**المؤَكَّد المُجْمَل**) هو الذي حُذِفَ منه الأداة ووجه الشبه، نحو: (**زيدٌ أسدٌ**)، وكقول الشاعر:

أنتِ نُعمى ورَوضَةٌ وشَبَابٌ ... ورَبيعٌ مُفَتَّحٌ بالحياةِ

فالتشبيه في هذا البيت قائمٌ على المُشَبَّه والمُشَبَّه به مُتَّحِدَينِ زالت بينهما الحدود واختفت الفواصل، فضمَّ كلّ منهما الآخر إليه كأنَّهما في عِنَاقٍ، وورد في القرآن الكريم قوله-سبحانه وتعالى-: ﴿ **صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ** ﴾[البقرة:١٨]، والتقدير: فهم كالصمّ، أو فهم صُمّ بُكم عمي، فالمُشَبَّه مُقدّر، والمقدّر كالملفوظ، فإمّا أن يُحمل هذا التقدير عل التشبيه المُرْسَل المُجْمَل، أو على البليغ الموجز.

القسم الثاني- ألوانٌ أُخرى من التشبيه باعتبارات أُخر:

نقفُ الآن على ألوانٍ أُخرى من التشبيهات ضمن أقسام التشبيه التي ذكرها البلاغيون، وعَدَدُ هذه الألوان كثيرة جرى البلاغيون على تقسيمها باعتباراتٍ أُخرى-غير التي سبق ذكرها-، وسنتناولها بحسب عنواناتها:

١- التشبيه التمثيلي (أو تشبيه الصورة):

وهو درجةٌ عاليةٌ لنموذج التشبيه، يعتمد أساساً على التشبيه المفرد، لكنَّ الفرقَ بينهما أنَّ وجهَ الشبه في التشبيه **المفرد** صفة واحدة-وإن تعدَّدت في المثال الواحد- ويُمكن الفصل بين أجزاء التشبيه فيها، بينما وجه الشبه في التشبيه **التمثيلي** صورةٌ، أو هيأةٌ، أو وصفٌ مُنتزعٌ من مُتعدِّدٍ، ولا يُمكنُ الفصل بين أجزائه، وكثيراً ما يبدأ التشبيه التمثيلي بلفظ (مَثَل): ﴿ **مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖ** ﴾ [إبراهيم:١٨].

والتشبيه **التمثيلي**-عادة- يكونُ بين جُملتين، ولا بُدَّ من وُجود ارتباطٍ معنويٍّ وعنصريٍّ بينهما، ولا يُمكن إفراد أجزاء المُشَبَّه والمُشَبَّه به في التركيب، إذ يكونُ وجهُ الشبهِ هيأةً حاصلةً من شيئَين أو أشياء تلاصقت حتى عدَّها المتكلمُ شيئاً واحداً، فإذا انتزع الوجه من بعضها دون الآخر، اختلّ قصدُ المتكلم من التشبيه، كقول الشاعر:

كأنَّ سُهيلاً والنُّجُوم وراءَهُ　　　صفوفُ صلاةٍ قامَ فيها إمامُها

فلو قيل: (**كأنَّ سُهيلاً إمامٌ**)، و(**كأنَّ النجومَ صفوفُ صلاة**)، لذهبتْ فائدةُ التمثيل، وضاعَ قصدُ الشاعر؛ لأنَّ فضَّ التركيب سيغدو من الناحية التعبيرية فَضّاً للصورة التي رسمها الشاعر في هذا التشبيه المُرَكَّب، فضلاً عن عدمِ وجودِ مُشابهةٍ بين طرفي التشبيه حَالَ تجزئتِهِ.

ومنه قوله-سُبحانه وتعالى-: ﴿ **مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۖ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ** ﴾[العنكبوت:٤١]، فلفظة (**مَثَل**) في الآية الكريمة أعطت للتشبيه صفةَ التمثيل الذي يصلُحُ لضرب المثل، ووجه الشبه هنا (**عدم النفع، وعدم دفع الضرر**)، يعني عدم نفع الولاية بالنسبة لهؤلاء الذين اتخذوا من دون الله أولياء، فحالهم كحال العنكبوت اتخذت بيتاً وظنَّتْ أنَّهُ سيحميها ويقيها الضر، ومعلومٌ أنَّ بيتَها أوهنُ البُيُوتِ.

ومن هذا القبيل قوله-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- في تصوير حال المنافقين: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾[البقرة:١٧]، فالتركيب قائمٌ على تشبيه حال المنافقين الذين توشك كلمة الإيمان التي تنطق بها ألسنتهم أن تأخذ بأيديهم إلى الطريق الصحيح، ثم ما يلبث الكفرُ الذي يضمرونه في قلوبهم أن يسدَّ عليهم كلَّ المسالك، فهذه الحال مُشَبَّهة بحال المستوقد للنار حين يبرق ضوؤُها حوله في ظلمات الليل، وما أن يحاول لمحَ معالِمَ الطريق حتى تنطفئ نارُهُ، ويغشاهُ الظلامُ، فالطرفان مُركَّبان ووجهُ الشبه الذي يشترك فيه الطرفان هنا هو ظهور ما يُطْمِعُ في الوصول إلى المطلوب بسبب مباشرة أسبابه، وما أعقب ذلك من الحرمان والخيبة لزوال الأسباب، فهو صورةٌ أو تمثيلٌ، والتشبيه به يكون تشبيهاً تمثيلياً.

ومثله قول المتنبي:

يَهُزُّ الجيشُ حَوْلَكَ جَانِبَيْهِ ... كما نَفَضَتْ جَناحَيْها العُقابُ

فهنا يُشَبِّهُ المتنبي صورةَ الجيش (**ميمنته وميسرته، وسيف الدولة بينهما**)، وما في الميمنة والميسرة من حركةٍ واضطرابٍ بصورة عُقاب تنفض جناحَيها وتحركها تهيُّؤاً للطيران، فوجه الشبه صورةٌ مُنتَزَعَةٌ من أشياء مُتعددة، وليس صفة مفردة، وهذه الصورة يمكن أن نتخيّلها وهي: (**وجود جانبين لشيءٍ في حال حركةٍ وتموّجٍ**).

وانظُرْ إلى قوله-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- لترى وتُدرك هذا النوع من التشبيه بشكلٍ أوضح، إذ قال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[النور:٣٩]، ترى أنه-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- شَبَّه شيئاً معقولاً (**وهو أعمال الكفار**) بشيءٍ محسوسٍ (**وهو السراب**)، فوجهُ الشبه: صورةُ شيءٍ يخدعُ مظهره ويسوء مخبره، إذ إنّ الكُفَّار يَظنُّون أنّ أعمالهم الباطلة ستنفعهم، ولكن سيُصطدَمون بالأمر الواقع هناك إذ إنَّها لا تنفعهم، ولا يُثَابون عليها.

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس:٢٤].

فهذه الآية الكريمة تتكون من جُملٍ مُترابطةٍ إذا فُصِلَ أحدها عن الآخر فإنّ المعنى لا يتم؛ إذ شُبِّهَتْ حال الدنيا التي تُقْبِلُ بعد أن أُعطِيَ أهلها كلَّ مُستلزماتها (**هذا هو المُشَبَّه**) بحال زرعٍ أينع، فأعجب الزرّاعَ نباتُه، ثمّ أُتِيَ عليه فصار كأن لم يكن (**وهذا هو المُشَبَّه به**)، ووجه الشبه النضارة ومظنّة النفع في الدنيا المقبلة، أو الزرع الذي آتى أُكُلَهُ (فوجه الشبه مُنتزَعٌ من مُتعدِّدٍ، وهو تشبيهُ تمثيلٍ أو صورةٍ، وليس تشبيهاً مُفرداً).

٢ـ التشبيه المقلوب:

هذا التشبيه مظهرٌ من مظاهر الافتنان والإبداع، (**وهو عكس طرفي التشبيه بحيث يكون المُشَبَّه مُشَبَّهاً به، بادّعاء أنَّ وجهَ الشبه فيه أقوى وأظهر**)، وقد سمَّاه ابنُ جني(ت٣٩٢هـ): غلبة الفروع على الأصول[١]، وسَمَّاهُ عبد القاهر الجرجاني(ت٤٧١هـ): (عكس التشبيه)، وتحدّث عن جعل الفرع أصلاً، والأصل فرعاً[٢]، وسماه ابن الأثير(ت٦٣٧هـ): الطرد والعكس[٣]، وسماه العلوي(ت٧٤٨هـ): (التشبيه المنعكس)[٤].

ومن أمثلة هذا النوع قوله تعالى: ﴿**ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ**﴾ [البقرة:٢٧٥].

فالكلام في الآية الكريمة يدور حول الربا؛ إذ المُرابون يُريدون أن يُثبتوا شرعية الربا بتشبيهه بالبيع ليصلوا إلى إباحته كما أباح الله البيع، فعمدوا إلى قلب التشبيه، فجعلوا المُشَبَّه به مشَبَّهاً قاصدين إلى جعل الربا في الحلّ أقوى حالاً وأعرف وأظهر حِلّاً من البيع، فالربا في اعتقادهم حلالٌ أكثرُ من البيع، فجاء التشبيه مقلوباً، ومنه قول الشاعر محمد بن وهيب الحميري في مدح أحد الخلفاء:

وبدا الصباحُ كأنَّ غُرَّتَهُ　　　وجهُ الخليفةِ حينَ يُمتَدَحُ

فالشاعر هنا مدح الخليفة وادَّعى أن ضوءَ الصباح يشبهُ وجهَ الخليفة، والأصل في التشبيه أن يُشَبَّه وجهُ الممدوح بتباشير ضوء الصباح؛ لأنَّ النورَ في الصباح أقوى منه في الممدوح، إلا أنَّ الشاعرَ قَلَبَ التشبيهَ وجعلَ الصباحَ هو المُشَبَّه، ووجهَ الخليفة هو المُشَبَّه به، رامياً إلى المبالغة في المديح بإيحاء أنّ وجه الشبه أقوى في المُشَبَّه به (**وجه الخليفة**) منه في المُشَبَّه (**الصباح**)، أو أنَّ وجه الخليفة كأنَّه أعرف وأشهر وأتمّ وأكمل في النور والضياء من الصباح، فاستقام للشاعر بهذه النية أن يجعل الصباحَ فرعاً، ووجهَ الخليفة أصلاً.

---

[١] الخصائص: ٣٠٨/١.
[٢] أسرار البلاغة: ٢٢١.
[٣] المثل السائر: ٤٢١/١.
[٤] أسرار البلاغة: ٢٢١.

والمعهود أيضاً أن يُشَبَّه الكلام الخشن المؤذي بالنبل، وأن يُشَبَّه العطاء وكثرة الجود بالوبل-المطر الشديد-،لكنهم عكسوا ذلك وقلبوا التشبيه فقالوا: **(كأنَّ النبلَ كلامُهُ، وكأنَّ الوبلَ نوالُهُ)**، ومثل هذا قول البحتري في وصف بُرْكَةِ المتوكل:

كأنَّها حين لَجَّتْ في تدفُّقِها ... يَدُ الخليفةِ لَمَّا سَالَ وادِيْهَا

فنرى أنَّ الشاعرَ شَبَّهَ تدفُّق ماء البحيرة-وما يبعثه تدفّق الماء في النفس من صورة للجود والكرم- بيد الخليفة حين يبسط يده بالعطاء، فهذا من التشبيه **المقلوب**؛ إذ الأصل أن تُشَبَّهَ يدُ الخليفة-حين يبسطها بالعطاء- بتدفُّقِ ماء البحيرة، لكنَّ الشاعرَ قَلَبَ التشبيه؛ لغرض المبالغة في ادّعاء أنَّ يدَ الخليفة أبلغُ وأظهرُ في العطاء من تدفُّقِ ماء البحيرة.

ومنهُ ما يُسمَّى بـ **(التمثيل المقلوب)**، من مثلِ قولِ الشاعر:

وكأنَّ النجومَ بين دُجاها ... سُنَنٌ لاحَ بينهُنَّ ابتِدَاعُ

فالأصل أن تُشَبَّه **السنن النبوية** في كشفها البدع والضلالات **بالنجوم** التي تُبدّد الظلام، لكنَّ الشاعر قَلَبَ التشبيه بادعاء أنَّ السُّنَنَ النبوية أعرف وأظهر بالضياء والإشراق من النجوم-وهي كذلك-، فكأنَّ السُّنَنَ أصلٌ يُقاس عليه في الإشراق والضياء، ووجه الشبه-هنا- صورة مُرَكَّبة من وجود أشياء مُشرقة مُضيئة في جوانب شيءٍ مُظلمٍ، فهذه الهيأة المنتزعة من مُتعدّدٍ ليست صفةً مُفردةً، بل هي صُورة تمثيلية، ولما كان التمثيل مقلوباً سُمّي بـ**(التمثيل المقلوب)**.

٣ . التشبيه التفضيلي:

وهو **(أن يُوضع المُشَبَّه في صفّ المُشَبَّه به، ثم يستدرك الشاعرُ مُوهماً بأنّ قدرَ المُشَبَّه أعلى من أن يكونَ في درجة المُشَبَّه به، فضلاً عن أن يكون له قياساً)**، نحو قول الشاعر:

مَهَا الوحشِ إلّا أنَّ هَاتَا أَوَانِسُ ... قَنَا الخَطِّ إلّا أنّ تلكَ ذَوَابِلُ

فالشاعر هنا شَبّه موصوفته (ضمير محذوف تقديره: **هي**) شبهها ببقرة الوحش **(المها)** في جمال العيون وحسنها وسعتها، ثمّ شَبَّهها بالرماح الخطية في اعتدال القامة، إلا أنَّهُ استدرك بالاستثناء قائلاً: إنَّها(أي موصوفته) تفضل مها الوحش بالأُنس والمُلاطفة، وتفضل الرماح الخطية بالنضارة الدائمة، وعدم الذبول، فجعل المُشَبَّه أفضل من المُشَبَّه به، فكلُّ نوعٍ من هذا التشبيه سَمّاهُ البلاغيون: التشبيه التفضيلي، ومنه قول الآخر:

حسبتُ جمالَه بدراً مُنيراً ... وأينَ البَدْرُ مِنْ ذَاكَ الجمالِ؟!

شَبَّهَ الشاعرُ وجهَ ممدوحته بالبدر، ثمّ رأى أنَّه قد أساء معها، فأضرب عن هذا التشبيه بقوله: **(وأين البدرُ مِن ذاكَ الجمالِ؟!)** يعني: أنتِ لا شبيه لكِ من جنس البدر لأنَّكِ أجملُ منه.